كيف يسقط الأطفال في "شراك" سوء التغذية؟ القصة الكاملة..!

■ مليونا طفل يمني يعانون من سوء التغذية المزمن و967 ألفاً يعانون من سوء التغذية الحاد

تحقيق /نجلاء علي الشيباني

> من المؤلم معرفة أن 69 ألف طفل يمني يموت سنوياً بعد الولادة أحياء.. وقبل بلوغهم سن الخامسة كل ذلك عائد إلى سوء التغذية الذي ترتفع معدلاته في بلادنا حتى أصبحت في صدارة الدول العالمية بعد أفغانستان وليس الجوع أو الفقر وحده المسؤول عن تزايد هذه النسبة حتى بلغت النصاب، فالممارسات الخاطئة من قبل الأم المرضعة التي تلجأ إلى الرضاعة الصناعية لإطعام أبنائها سبب مهم في ذلك بالإضافة إلى غياب النظافة وسوء اختيار الأطعمة وعدم تنوعها..مما يؤدي إلى التقزم ونقص في الوزن والإصابة بالكساح ..والخوف كل الخوف من أن يستمر مسلسل زيادة الوفيات في ظل غياب الدعم والتثقيف الكافيين بهذه الكارثة الإنسانية..!!

سمر طفلة تبلغ من العمر 90 يوماً لم تحصل منذ ولادتها إلا على القليل من الحليب الطبيعي نتيجة لإهمال وجهل الأم بأهمية الرضاعة الطبيعية لصحة ابنتها مما أدى إلى إصابتها بإسهال شديد وتقيؤ بالإضافة إلى هزالة في الجسم..تحدث إلي والد سمر الذي اختلطت مشاعره بين مشاعر حياة ابنته والغضب من إهمال زوجته لابنته الأولى وقال: لم أقصر في شيء كنت أوفر لزوجتي كل ما تحتاج إليه قبل ولادتها وبعدها وكنت أشدد على أهمية الرضاعة الطبيعية لابنتي ولكن غيابي عن المنزل لساعات طويلة في العمل كان السبب وراء عدم مراقبتي لزوجتي ومعرفة أنها كانت ترضع ابنتي الحليب الصناعي ولم أعلم إلا عندما قام الطبيب بالكشف عن طفلتي بعد أن ساءت حالتها الصحية كثيراً..لم يقتنع الوالد بالمبررات التي أعطته إياها زوجته بقولها إنها تعاني من نقص في الحليب الطبيعي فقلقت من هذا الأمر وقامت بإخبار والدتها التي نصحتها باستخدام الحليب الصناعي وطمأنتها بأن هذا الإجراء لا يتسبب بأي ضرر للطفلة فما كان منها إلا أن عملت بنصيحة والدتها كونها خبيرة بهذه الأشياء وأخفت هذا الأمر عن زوجها الذي لو علم بما أقدمت عليه لقام بتوبيخها بشدة مما دعا الأم إلى إخفاء ما كانت تقوم به وأنها كانت تجهل أن كل ذلك سيصير، فلو علمت مسبقاً أن نقص الحليب الطبيعي له علاج من خلال تناول الفيتامينات والحديد لقامت بذلك، جهل الأم ووالدتها بهذا الشيء وتسرعهما في اتخاذ القرار غير الصائب وعدم الرقابة الجيدة من الوالد بالرغم من توفيره كل متطلبات البيت هو ما أدى إلى تفاقم حالة الطفلة سمر وتعريض حياتها للخطر.

ماذا أفعل

صالح رجل في العشرينيات من العمر يعمل بائعاً في إحدى الجولات بأمانة العاصمة رزق بمولوده الثاني قبل خمسة أشهر ليتفاجأ بعدها بتدهور حالة ابنه الصحية وإصابته بالتهاب رئوي حاد وسوء في التغذية جراء إصابة الأم بنقص في الحليب الطبيعي وعدم مقدرتها على إرضاع المولود الجديد الذي أسماه خالد فبعد أن ازدادت حالة طفله الصحية سوءاً اضطر إلى اصطحابه إلى أحد المراكز الصحية فهناك المعاينة لا تكلف سوى خمسين ريالاً ليخبره الطبيب المختص أن سبب الإسهال الذي يعاني منه ابنه الصغير هو قلة الرضاعة من حليب الأم بشكل كاف وذلك لضعفها وعدم تناولها غذاءً مناسباً ليقوم الطبيب بعدها بإعطائه ورقة الدواء والفيتامينات المقوية للأم وحليب مؤقت لابنه خالد. غادر صالح غرفة الطبيب وذهب إلى الصيدلية ليسأل عن سعر الدواء المقرر فوجده باهض الثمن لا يقدر على شرائه فقرر حينها بالاتفاق مع زوجته عدم شراء الأدوية التي قررها الطبيب لها وأن يشتروا الحليب الذي قرر لابنهم خالد حينها اضطر صالح إلى مضاعفة ساعات عمله ليوفر قيمة الحليب وأن يترك زوجته دون دواء ولكن حالة طفله لم تتحسن بشكل نهائي فما زال يعاني من الإسهال ولو بشكل أقل، ويقول الوالد: لو عدت إلى الطبيب لأعطاني دواء آخر وأنا لا أقدر على تحمل تكاليف شرائه.

ويؤكد أنه بالكاد يستطيع شراء الحليب من الصيدلية لينتظر بعدها إلى تحسن حالة خالد ويقول "أيش أفعل ما باليد حيلة"؟

باع أثاث منزله 3 كيلو ونصف حرام هو وزن فارس البالغ من العمر 11 شهراً والذي يعاني من سوء التغذية مما أدى إلى إصابته بالتهابات في الجهاز الهضمي بالإضافة إلى إسهال شديد جراء عدم اهتمام الأم بنظافة الماء الذي أوصل هذا الطفل إلى هذه الحالة الصحية المتردية، ورغم أن أم فارس أكدت أنها كانت تقوم بغسل الرضاعة جيداً قبل أن تعطيها لابنها لكن الماء الذي كانت تستخدمه كان ملوثاً.

تقول وفاء: لم أكن أدرك أن الماء الذي نستخدمه للشرب ملوث فالمياه التي نستخدمها هي مياه الحنفية التي أدت إلى تدهور حالة فارس الصحية مما اضطرنا إلى اصطحاب فارس إلى طبيب الأطفال. والد فارس يعمل في أحد المطاعم طباخاً ومرض ابنه أثقل كاهله خاصة مع كمية الأدوية التي كان الأطباء يصرفونها له فهي غالية الثمن مقارنة بحالته المادية البسيطة حتى وصل بهم الأمر إلى بيع الثلاجة والغسالة ودبة الغاز وبعدها بفترة بسيطة ثم بيع التلفاز حتى باءت كل محاولات العلاج بالفشل واضطر والد الطفل لاقتراض المال ليذهب بولده إلى طبيب آخر أخبره أن أصغر أولاده يعاني من سوء في التغذية وذلك بسبب تلوث الماء الذي يشرب منه..لم تكن أم فارس تعلم ذلك فقد استمرت طيلة أربعة أشهر بإعطاء ابنها ماءً ملوثاً ولم يخبرها الأطباء السابقون بذلك.

الفقر هو السبب

أروى أم لثلاثة أطفال أصغرهم عامر ذو الأربع سنوات والذي يعاني من قصر القامة ونحول شديد جراء سوء التغذية الحاد، تقول أروى أن ابنها يعاني من الضعف الشديد منذ ولادته ولكن جميع من حولها أكدوا لها أن الأيام القادمة ستكون كفيلة بتحسن حالة عامر وأن الكثير من الصغار كانوا هكذا فتحسنت حالتهم فيما بعد، وعند بلوغه عامه الثالث بدأ الأمر يزداد سوءاً، وبادرت بأخذه إلى المشفى لعلاجه لتعلم حينها من الطبيب إن عامر أصغر أولادها يعاني من سوء التغذية وبدأت بعلاجه بمساعدة الطبيبة المختصة.

لذا تتمنى أروى من الجهات المعنية بهذا الأمر أن تتحلى بقليل من المسؤولية تجاه الأطفال فهم يموتون بسبب سوء التغذية المزمن الناتج بشكل رئيسي عن الفقر.

الوضع كارثي

> يؤكد وزير الصحة العامة والسكان الدكتور أحمد قاسم العنسي أن مشكلة سوء التغذية في اليمن وفقاً لآخر المسوحات التي قامت بها الوزارة خلال الفترة (2012-2013م) وصلت إلى حد مستويات الأزمة وتجاوزت عينة معايير الطوارئ الدولية والحدود الحرجة لمنظمة الصحة العالمية بوجود 10% من الأطفال دون سن الخامسة من العمر يعانون من سوء التغذية الحاد والمزمن ووصلت المعدلات في بعض المحافظات إلى 32% كما هو الحال في محافظة الحديدة، كما اظهرت المسوحات أن سوء التغذية في بلادنا يأخذ نمطاً أو اتجاها متزايداً. منوهاً بأن الأطفال والنساء الذين يعانون من سوء التغذية الخفيف والمتوسط هم أكثر عرضة لخطر الموت بسبب ضعف المقاومة لديهم ضد الأمراض. موضحاً أن مشكلة سوء التغذية في اليمن تمثل مشكلة إنسانية واجتماعية تمتد وتتشعب تأثيراتها السلبية وتداعياتها لتشمل مختلف مناحي الحياة وتعيق عجلة التنمية كما تسهم بشكل مباشر وغير مباشر في ارتفاع معدلات وفيات الأطفال والأمهات وله تأثير سلبي على النمو والعقل. وتعود مشكلة ارتفاع معدلات سوء التغذية في اليمن حسب الدكتور العنسي إلى الاضطرابات السياسية التي مرت بها اليمن خلال عام 2011م والتي زادت من حدة المشكلة وضراوتها، الأمر الذي أدى إلى أن العالم دق ناقوس الخطر بمشكلة سوء التغذية في اليمن حيث وصل نطاق وحجم المشكلة إلى المرتبة الثانية عالمياً بعد أفغانستان لوجود ما يقارب من 967 ألف طفل يعانون من سوء التغذية الحاد و«276» ألفاً منهم معرضون لخطر الوفاة وأكثر من مليوني طفل يعانون من سوء التغذية المزمن والذي ينذر بوضع كارثي إذا لم يتم تداركه بتدخلات صحية وغذائية وقطاعية فورية قصيرة وطويلة الأجل.

ضرورة التثقيف

> فيما يرى الدكتور عبدالمجيد بجاش عبدالله- أستاذ علوم الأغذية المساعد بكلية الزراعة جامعة صنعاء- أن سوء التغذية يعني أنه في الحالة التي لا يحصل فيها جسم الإنسان على القدر الكافي من المواد الغذائية اللازمة فإنه قد يكون عرضة للإصابة بسوء التغذية سواء كان تناوله بإفراط أو نقص. وسوء التغذية لا يقتصر على المجتمعات الفقيرة فقط كما يظن البعض ولكنه يحصل أيضاً في المجتمعات الغنية لارتباطه بسوء اختيار الغذاء إذ ثمة رابط بين الغذاء والصحة وهذا الرابط قوي فالغذاء مهم لحياة الإنسان ونموه ونشاطه ولمقاومته الكثير من الأمراض. وبالمقابل تسفر الحاجة للمكونات الغذائية الأساسية عن الإصابة ببعض الأمراض والعلل كذلك عند عدم توازن الغذاء أو غياب الاهتمام بنظافة ما نتناوله من أغذية وإبقائها عرضة للتلوث، كل ذلك يأتي ضمن سلسلة من المعوقات ذات الصلة بشيوع الجهل في اليمن بأسس التغذية السليمة وجنوح الكثيرين إلى عادات غذائية غير صحية لا تلبي حاجة الجسم بقدر ما تلحقه من أضرار. ولا مفر من وصف الحال المترتب على نقص المكونات الغذائية الأساسية بالمهدد الأول لصحة الأطفال خاصة ما يسمى بالخطر الوخيم لدرجة أن نقص عنصر واحد على الأقل من عناصر المجموعات الغذائية الثلاثة الأساسية المكونة للغذاء المتوازن يعد كافيا لتعرض الطفل المرض من أمراض سوء التغذية، وهذه المكونات الغذائية تتلخص في أغذية الطاقة كالحبوب والزيوت والمكسرات وأغذية النمو كاللحوم والألبان والبقوليات، بالإضافة إلى أغذية الوقاية كالخضروات والفواكه وذلك للوقاية من التعرض لسوء التغذية.

أهم الأعراض

> يرى الدكتور أحمد شمسان المقرمي -استشاري طب أطفال- أن سوء التغذية غالباً ما يتم معالجته عن طريق إمداد الجسم بالمواد الغذائية التي تنقصه وكذا علاج أي اضطرابات غير صحية تنتج عن سوء التغذية وتأتي أعراضه تبعاً لنوع الاضطرابات التي تلحق بالإنسان ومن أهم أعراضه الإرهاق وتلبك الهضم ونقص المناعة والدوار والإسهال والجفاف وغيرها، وفي المراحل المتقدمة لسوء التغذية يصبح الجلد والشعر جافين كما تتورم اللثة وتنزف بالإضافة إلى تقعر الأظافر والمفاصل ويضعف النظر وتتأثر العظام ويتم اختبارات الفحوصات لسوء التغذية بواسطة اختبارات الدم التي تجري لاكتشاف سوء التغذية والاضطرابات المتصلة بها.

كما يؤكد الدكتور شمسان أن للتغذية الدور الأكبر في نمو الفرد ليس منذ ولادته فحسب بل يتعدى ذلك لتشمل بدايات تكوين الجنين في بطن أمه، فالمرأة الحامل إذا ما عانت نقصاً في نوعية الغذاء الذي تتناوله فإن لهذا الأمر الأثر البالغ والخطير على حياة الطفل وطريقة نموه.

الحوامل والمرضعات

> وحول قضية سوء التغذية المتعلقة بالنساء الحوامل والمرضعات تقول الدكتورة هدى الجماعي- أخصائية نساء وولادة: كون قسم من النساء في مجتمعنا عرضة لهذه المشكلة وقسم آخر يعانيها بالفعل سأذكر سببين شائعين من أسباب سوء التغذية بهذه، الفئة الأولى تكمن في فقر الدم وهو الأوسع انتشاراً وترجع أسبابه إلى الجهل بأسس التغذية السليمة بالإضافة إلى سوء امتصاص الحديد بسبب شرب الشاي أثناء الأكل أو عقبه وعدم تناول الأغذية الغنية بعنصر الحديد وكذلك الغنية بفيتامين «ج» الذي يساعد على امتصاص الحديد، والثانية تأتي بسبب نقص اليود وهو عنصر ضروري لجسم الإنسان والذي تحتاجه الغدة الدرقية ونقص اليود في الجسم سببه قلة هذا العنصر في الغذاء الذي تتناوله ويتوفر في الأسماك والأطباق البحرية وبالتالي لا وجود له في الخضروات التي نتناولها، وعوضاً عن هذا النقص يجب تناول الأغذية التي تحتوي على هذا العنصر مثل الأسماك والملح المضاف إليه اليود، وبالتالي يمكن اللجوء إلى عدد من الإجراءات الوقائية كتشجيع الأسر على تناول الملح المضاف إليه مادة اليود وتناول الأسماك مرة أو مرتين أسبوعياً.

اليمن في المسار الخاطئ

الدكتور ماجد الجنيد- وكيل وزارة الصحة لقطاع الرعاية الصحية الأولية، يقول أثناء حديثه عن سوء التغذية وما تم إنجازه في معالجة هذه المشكلة في بلادنا: إنها تحتل المركز الأعلى في مؤشرات التغذية على المستوى العالمي، موضحاً أن تحسين الوضع الغذائي له علاقة بالأم والطفل وله تأثير مباشر في مدى إحراز تُقدم في مرامي الألفية..

منوهاً إلى أن بلادنا ليست على المسار الصحيح لتحقيق الهدف الأول من أهداف الألفية وأن هناك تحديات كبرى تواجه التنمية وتساهم في تفاقم مشكلة سوء التغذية منها النمو والتشتت السكاني وضعف البنية التحتية وزيادة الضغط على تقديم الخدمات وشحة الموارد المائية بالإضافة إلى ارتفاع فجوة الأمن الغذائي ومحدودية خيارات التمويل.

الدكتورة لينا الإرياني- مدير إدارة التغذية بوزارة الصحة العامة والسكان، تقول: تحتل مكافحة سوء التغذية الأولوية الثانية ضمن سياسات واستراتيجيات وزارة الصحة العامة والسكان انطلاقاً من مبدأ الحقوق الأساسية للإنسان وخاصة حقه في الحصول على الخدمات الصحية والغذائية والتغذوية وتنفيذ الالتزام الرسمي الخاص بالمواثيق الأقليمية والدولية حول التغذية.. وقد وضعت بلادنا الأولوية العليا لاتخاذ إجراءات تعالج مشاكل سوء التغذية ضمن الخطة الخمسية للصحة من أجل تحسين الوضع الحرج للصحة والوضع التغذوي لليمنيين وتعزيز سياسة الحكومة في الجانب الغذائي ورفع فعالية وكفاءة تنفيذ برامج التغذية الضرورية.

تعاون مشترك

فيما يؤكد عبدالسلام سلام- مدير عام المركز الوطني للتثقيف والإعلام الصحي والسكاني، أن مشكلة سوء التغذية تترتب تبعاتها ومسؤوليتها على الجميع وإن اختلفت المواقع والأدوار من أجل التصدي لها بكفاءة واقتدار على مختلف المستويات.. لذلك يجب أن يتكاتف الجميع على مستوى الدولة مثلاً السلطة المحلية ومنظمات المجتمع المدني والمؤسسات المعنية بالغذاء ورعاية الطفولة الرسمية منها وغير الرسمية وسائر القطاعات والجهات المعنية بالاقتصاد والصحة والزراعة والتعليم العالي والتربية والإعلام والأوقاف والإرشاد، وهي مسؤولية مثقلة بمعوقات لا يمكن لجهة أو مؤسسة حكومية كوزارة الصحة أو جهة حكومية أخرى أو غير حكومية أن تعالجها منفردة دون تعاون كافة القطاعات..ونحن بدورنا نقوم بالتوعية عبر وسائل الإعلام المختلفة بمخاطر سوء التغذية ومدى خطورتها على حياة الإنسان وطرق الوقاية منها.. كما أن هناك مراكز تقوم بالخدمات العلاجية في أنحاء الجمهورية لعلاج سوء التغذية الوخيم والمتوسط.

خطوة مهمة

وذكر تقرير التغذية العالمي الصادر عن اليونيسيف في 15 أبريل لهذا العام أن اليمن اتخذت خطوة مهمة في سبيل مكافحة أعلى مستويات سوء التغذية في العالم من خلال إطلاق حملة كبرى للعمل المشترك مع مبادرة «توسيع التغذية من أجل جعل سوء التغذية جزءاً من الماضي». ويشير التقرير العالمي لليونيسيف إلى أن اليمن تركز على تحقيق نجاحات في مجال التغذية وتعزيز الفهم وتوفير الدعم للتغذية باعتبار ذلك استثماراً هاماً خلال الألف يوم الأولى من حياة الطفل، ليس ذلك فحسب وإنما لأهمية التنمية إجمالاً.

من جانبه يقول الدكتور وسام التميمي مسؤول برنامج بقاء ونمو الطفل بأن هناك تقارير تؤكد بمنظمة اليونيسيف أن ما يقارب من 60% من أطفال اليمن دون سن الخامسة يعانون من سوء التغذية المزمن والذي ينتج عنه التقزم في النمو وتأخر التطور العقلي، وأن عدد الأطفال المصابين بسوء التغذية الحاد الشديد بلغ نحو 267 ألف طفل وأن العوامل الرئيسية التي ساهمت في استمرار الأزمة هي محدودية الوصول إلى الخدمات الأساسية كالرعاية الصحية والمياه الآمنة بالإضافة لضعف الممارسات الغذائية كالتوقف عن الرضاعة الطبيعية وعدم استخدام الملح المزود باليود والذي يؤدي إلى حدوث معوقات اجتماعية وتعطل النمو الجسدي.

وأضاف التميمي: إن منظمة اليونيسيف تقوم بالتعاون المباشر مع وزارة الصحة في القضاء على سوء التغذية في اليمن من خلال الدعم وتوفير الاحتياجات التي تتقدم بها وزارة الصحة العامة والسكان للمنظمة، كما أن هناك أكثر من (500) مرفق صحي يقوم بتوفير تدخلات التغذية العلاجية بدعم منا ويجري تنفيذ أكثر من 250 برامجاً للتغذية التكملية في اليمن.

● د.احمد قاسم العنسي

● د.لينا الأرياني

● د.عبدالحميد بجاش

● أ.عبدالسلام سلام

"وزير الصحة العامة والسكان: العالم يدق ناقوس خطر مشكلة سوء التغذية في بلادنا"

"باع أثاث منزله ليعالج طفله وآخر ضحى بدواء زوجته من أجل ولده دون شفاء

"د. شمسان: سوء التغذية يعالج بإمداد الجسم بالمواد الغذائية التي تنقصه والجفاف ونقص المناعة أهم أعراضه

"منظمة اليونيسيف في اليمن : 500 مرفق صحي توفر تدخلات التغذية العلاجية و250 برنامجاً للتغذية التكميلية